ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

تجارة القوافل بالصحراء وتنظيمها من طرف الإدارة الاستعمارية خلال ق19 المكتب العربي (جيرفيل) أنموذجا

The Caravans Trade in the Dahara and its organisation by the Colonial Administration during the 19th century Case-study: Jervel's Office

الدكتورة حباش فاطمة، جامعة تيارت
Fatima_hab@yahoo.fr

تاريخ الاستقبال: 2019/09/19 تاريخ القبول: 2019/12/21 تاريخ النشر: 2020/01/31

الملخص:

شكلت التجارة على طول الفترات التاريخية أهم مورد اقتصادي للشعوب من عشائر وقبائل، كما كانت في نفس الوقت بمثابة أحد الركائز لتثبيت أية سلطة سياسية في منطقة ما، ولعل الدليل على ذلك ما حدث في الجزائر وتحديدا في صحرائها خلال القرن 19 عندما كانت تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، الذي تبنى مبدأ التوسع وتحقيق الاحتلال الشامل للجزائر، فوظف لأجل ذلك كل الوسائل العسكرية والسياسية، ومن بينها كانت التجارة أحد الوسائل السلمية التي ساهمت في المد الاستعماري سلميا والتوغل بين العشائر والقبائل الصحراوية.

انطلاقا من هنا ونظرا لأهميتها السياسية أعطت الإدارة الاستعمارية اهتماما خاصا بتجارة القوافل ووضعت لها ترتيب ونظام خاص بها للإشراف عليها وذلك بواسطة إدارة محلية من خلال المكتب العربي الذي كانت تتم العملية تحت وصايته. إذن من هنا تكون إشكالية موضوعنا المراد معالجته والتي مفادها " كيف كانت وضعية تجارة القوافل تحت إشراف المكتب العربي؟ وإلى أي مدى ساهمت أولا في مد التوسع الفرنسي جنوبا وثانيا التطلع إلى ما ورائها نحو السودان؟، ماهي الترتيبات التنظيمية للمكتب العربي لانطلاق القوافل؟، وماهي أهم النتائج المترتبة عن تجارة القوافل سياسيا واقتصاديا؟

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

الكلمات المفتاحية:
تجارة القوافل، جيرفيل، الجزائر، المكتب العربي، الصحراء، الإدارة الأهلية، القبائل الصحراوية، الإستعمار الفرنسي.

Abstract

Along the historical periods, trade has been the most important economic resource for peoples, and at the same time it served as one of the pillars of any political authority in a region. Therefore, what happened in Algeria was viewed as an evident example. It happened specifically in its Sahara during the 19th century. For that it employed all military and political means. Hence, trade was one of the peaceful means that contributed to the peaceful colonial tide and incursion between tribes. For its political importance, the colonial administration gave special attention to the caravans trade and arranged for it a special system to supervise it through a local administration " the Arab Bureau",. Therefore, this paper attempts to answer the following questions : "How was the status of the caravans trade under the supervision of the Arab Office? To what extent did it first contribute to the French expansion towards south and secondly to look beyond it towards Sudan? And how did this Bureau organize the caravans? What are the consequences of this caravans trade politically and economically?

Key words:
The Caravans Trade; Géryville; Algeria ; the Arab Bureau; Sahara; the Colonial Administration; the desert tribrs ; French colonialism.

تمهيد :

شكلت التجارة على طول الفترات التاريخية أهم مورد اقتصادي للشعوب من عشائر وقبائل، كما كانت في نفس الوقت بمثابة أحد الركائز لتثبيت أية سلطة سياسية في منطقة ما، ولعل الدليل على ذلك ما حدث في الجزائر وتحديدا في صحرائها خلال القرن 19 عندما كانت تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، الذي تبنى مبدأ التوسع لأجل تحقيق الاحتلال الشامل للجزائر، وفي نفس الوقت كان له دافع سياسي آني مرتبط بالمقاومة العسكرية بالشمال، ومحاولة تصفية

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

بقاياها من الثوار الذين اتخذوا من الصحراء معاقل وثغورا لتجديد عملهم العسكري[1]، وبالطبع لأجل ذلك وظف السلطة الاستعمارية كل الوسائل العسكرية والسياسية، ومن بينها التجارة التي كانت أحد الوسائل السلمية التي ساهمت في المد الاستعماري سلميا والتوغل بين العشائر والقبائل الصحراوية[2].

انطلاقا من هنا ونظرا لأهميتها السياسية _ التجارة _ أعطت الإدارة الاستعمارية اهتماما خاصا بتجارة القوافل، ووضعت لها ترتيبا ونظاما خاصا بها، للإشراف عليها بواسطة إدارة محلية أهلية من خلال مؤسسة المكتب العربي التي كانت تتم عملية الإشراف والمتابعة تحت وصايتها. إذن من هنا تكون إشكالية موضوعنا المراد معالجته ومفادها: " **كيف كانت وضعية تجارة القوافل تحت إشراف المكتب العربي؟ وإلى أي مدى ساهمت أولا في مد التوسع الفرنسي جنوبا وثانيا التطلع إلى أعماق إفريقيا ونحو بلاد السودان؟، ما هي الترتيبات التنظيمية للمكتب العربي لانطلاق القوافل؟، وما هي أهم النتائج المترتبة عن تجارة القوافل سياسيا واقتصاديا؟**

لمعالجة الموضوع اعتمدنا على العناصر التالية:

1_ لمحة عن تاريخ تجارة القوافل وأهميتها.

2_ التواجد الفرنسي السياسي وإنشاء المكتب العربي (جيرفيل).

3_ الإشراف الإداري على تجارة القوافل.

1_ لمحة عن تاريخ تجارة القوافل وأهميتها:

ظهر الاهتمام الأوربي بالصحراء في إطار سياسة التنافس الاستعماري الأوربي على إفريقيا مع نهاية القرن 18، وتم ترجمته فعليا بالرحلات الجغرافية، والعلمية التي وجهت إلى أعماق الصحراء بهدف السيطرة التامة على إفريقيا[3]، وبالطبع فرنسا كأحد الرؤوس الكبرى للاستعمار

1- أبو القاسم سعدالله. تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية. ج1. دار الغرب الإسلامي. لبنان. 1992. ص. 72.

2 - يحي بوعزيز. موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب. ج1. دار الهدى. الجزائر. 2004. ص ص. 776-777.

3- هناك العديد من الجمعيات الجغرافية والعلمية تكفلت على عاتقها إرسال بعثات استكشافية منها الجمعية الإفريقية التي تأسست عام 1788 أرسلت ثلاث رحالين هون مان Hun- Men الألماني، ولوكاس Luckas ، وليد بارد Lyd Bar ، رحلة أخرى

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

الأوربي لم تتخل عن هذا الرغبة، وأولت اهتماما معتبرا، والدليل الاتفاقية التي أبرمتها مع منافسها التقليدي بريطانيا سنة 1916حول اقتسام مواطن النفوذ وتحديدا الكاميرون.

إذن الاهتمام الفرنسي أصبح أكبر وضرورة حتمية يستوجب تحقيقها بعد احتلالها الجزائر سنة 1830، حيث تجددت الآمال والطموحات نحو التوسع إلى إفريقيا عبر الجزائر من خلال السيطرة التامة والشاملة على هذه الأخيرة[4]. فالفرنسيون كانوا على قناعة مطلقة أن بقائهم بالجزائر مرهون بالتوسع في الصحراء واحتلالها، وبالرغم من المحاولات الأولى لهم كانت محتشمة، وكلها مبادرات علمية واستكشافية في أواخر الثلاثينات، إلا أن الانطلاق الحقيقي، كان مع أواخر الأربعينات ومطلع الخمسينات من القرن 19، بعدما تم القضاء وتصفية مقاومة الأمير عبد القادر[5]، وبعد تبني حملات عسكرية توسعية أولى إلى الهضاب وتأديب ومطاردة أتباع المقاومة العسكرية المرابطة في ثغور الهضاب ومداخل الصحراء [6].

انطلق المشروع التوسعي الفرنسي إلى الصحراء على عهد الحاكم العام راندون[7]، الذي وجه حملات توسعية ذات طابع استكشافي للمنطقة جغرافيا وتاريخيا واجتماعيا بهدف معرفة أسرار هذا الفضاء الفسيح منطلقا من المراكز العسكرية التي استحدثت على عهد الجنرال بيجو Bugeaud [8] في إطار السياسة العسكرية للقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر. وبمرور الوقت

سنة 1790 للقنصل هيوتن، ورحلة مونغو بارك الذي وصل في جوان 1895 إلى ساحل غامبيا. ينظر: إبراهيم مياسي. الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837- 1934). دار هومة. الجزائر. 2005.

4 - C.A.O.M. 10H/73. GGA. Geryville 1858. « Relations politique extérieurs et commerciales .

5- هو عبد القادر ناصر الدين، الإبن الرابع لمحي الدين، ينتمي إلى عائلة سيدي قادة بن المختار من قبيلة الهشم من أكبر عشائر غريس وأعظمها سلطانا ونفوذا وهو من أتباع الطريقة القادرية، ولد سنة 1808 بالقيطنة بواد الحمام. ينظر: أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ص. 173.

6 -Pelissier Reynaud. Annales Algeriennes. V1. Jdumaine. Paris. Bastide.Alger. 1854 PP. 160-161./ - GB. L'oasis de Feguig. L'illustration. 26 éme année 18/8/1868. N= 1327.P. 68.

7- ولد بقرونبل في 1795/3/25، قاد عدة حملات عسكرية ضد القبائل الثائرة في كل من الأغواط ومنطقة القبائل،عين حاكما عاما سنة 1852. ينظر: Narcisse Faucon. Livre d'or de l'Algérie (1830-1889). T1. Challamel etCie. Paris. 1889. P. 547.

8- هو توماس روبار بيجو، ولد في أكتوبر 1784، ينحدر من أسرة إيرلندية، انضم إلى الجيش في صفوف الحرس الإمبراطوري سنة 1804، قدم إلى الجزائر أول مرة في 1836في مهمة عسكرية ضد الأمير، أبرم معه معاهدة التافنة سنة 1837، وعين في سنة 1841

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

تحولت هذه المراكز العسكرية إلى دوائر إدارية لها مهام سياسية، عسكرية، جغرافية لتحقيق هدف واحد وهو تثبيت الاحتلال، ومن بين الدوائر الإدارية الأولى في الجنوب الغربي نجد دائرة جيرفيل بمنطقة قصور الجنوب الوهراني[9].

2_ التواجد الفرنسي السياسي وإنشاء المكتب العربي:

بعد الاقتناع بضرورة إقامة مراكز مراقبة وتموين على طول خط الأطلس الصحراوي لكي تساعد على المد جنوبا باتجاه الصحراء المفتوحة، والسيطرة أولا على الواحات الجزائرية، ثم المد نحو السنغال والغابون وبلاد السودان عموما[10]، ولعل من بين أولى المراكز التي استحدثت نجد "جيرفيل"، وهي ذات موقع إستراتيجي، تقع في أعماق مقاطعة وهران جنوب شرق سعيدة وتعلو عن البحر ب 1307م[11].

يعود تاريخ إنشاء هذا المركز إلى الحملة التي انطلق بها القائد الأعلى للمقاطعة الجنرال بليسيي Pelissier [12] من وهران متوجها إلى الأغواط في 1852/12/4[13] لتتبع أثار الثائر الشريف محمد بن عبد الله[14]، وهي الحملة التي تزامنت مع حملة أخرى انطلقت من قسمة معسكر بقيادة بوسكران Bouscran متجهة إلى قصور الجنوب الغربي[15]، وكلاهما كانت لهما نفس الرؤية حول

حاكما عاما على الجزائر. ينظر: Peyronnet. Livre d'or des officiers des affaires indgénes (1830-1930). T1. Imprimerie Algérienne. Alger. 1930. PP. 71-72.

9 - Henri Vast. L'Algérie et les colonies Françaises. Garnier Fréres. Paris. P. 132.

10- Achill Fillias. Géographie physique et politique. 2éme édition. Hachette et Cie libre. Paris. 1875P. 57.

11 - GB. Op. Cit. P. 68.

12- هومن مواليد 1792/11/6، من خريج مدرسة سان سير العسكرية، شارك في حروب بإسبانيا سنة 1813 ومري سنة 1828، عين قائدا للأركان بوهران في 1839/11/12 ثم نائب قائد الأركان العامة بالجزائر في 1842/7/8، شارك في عمليات ضد محمد بن عبد الله سنة 1852، عين حاكما عاما في 1860، توفي سنة 1869. ينظر:. Peyronnet. Op. Cit. P. 190

13- Roney Alain. Les Said Attba de Ngoussa. Histoire et état actuel de leur nomadisme. L'Harmattan.Paris. 1983. P. 64.

14- هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن يوسف من قبيلة أهل روسل بتموشنت، توجه إلى تلمسان أين اشتغل معلم قرآن في زاوية سيدي يعقوب، عرف بعدائه للأمير وحاربه رفقة مصطفى بن إسماعيل، منحه الفرنسيةن لقب السلطان بعد إحتلال تلمسان. قاد ثورة ضد الاستعمار بورقلة (1851-1861). ينظر: يحي بوعزيز. ثورات الجزائر في القرنين 19و20. ج1. منشورات المتحف الوطني للمجاهد. الجزائر. 1996. ص ص. 151-153.

15-G. Segratain. Souvenires d'un officier de l'armée d'afrique. BSGA. 1er semestre. N=161-162. PP. 54-55.

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

البيض كموقع إستراتيجي لتدشين الاستيطان الفرنسي بمنطقة القصور، متميز بواحاته مما يساعد القبائل الثائرة إلى الاحتماء والاستمرار في موقفها ضد الوجود الفرنسي، وتفشل أية محاولة للمد الاستعماري[16].

إذن الإدراك والاقتناع بأهمية موقع قصر البيض جعل الجنرال بليسيي يعطي أوامر إنشاء المركز دون أن ينتظر موافقة الحاكم العام أو يكون لديه برنامج دراسة خاصة بالبناء[17]، وبالطبع كلف بالمهمة الجنرال سقرتان Segratain وإلى جانبه فرقة بوسكران، وشرع مباشرة في 22 نوفمبر في تنفيذ الإنشاء معتمدا على المستلزمات والمعدات التي تزود بها من مركز سعيدة، وتحت تعليمات بليسيي، حيث دشنه بنزع كل الشوائب من أحراش ونباتات يابسة[18]. وفي وقت قياسي تمكنوا من إنجاز برج مغلق محاط بأسوار ذات شرفات بين 5 و6م وحصن ذو زوايا مخصص لإنزال المدافع، وبداخله أقيمت مباني منها المبنى الرئيسي ذو طوابق مخصص لإقامة القوات، ومبنى خصص للتمريض[19]، إضافة إلى مبنى أرضي مخصص لتخزين البضائع والمؤن. وانتهت الأشغال به مع بداية شهر جانفي 1854، وأطلق على المركز إسم لينفيل لكن غير بأمر من بلسيي إلى جيرفيل تكريما للجنرال جيري Gery الذي قاد أول حملة إلى منطقة قصور الجنوب الغربي سنة 1845، عموما بقي المركز في صفته الإدارية كملحق تابع للمكتب العربي بسعيدة[20]، لكن ونظرا لأهميته العسكرية ودوره في تثبيت الاحتلال والأمن تصاعدت الطلبات إلى الهيئات العسكرية، تدعو كلها إلى ضرورة ترقية المركز وجعله على نفس درجة باقي الدوائر الإدارية الأخرى، وهو ما تحقق فعلا بعد صدور قرار 27/ 7/ 1855 والذي جعل من جيرفيل دائرة إدارية مستقلة عن سعيدة [21].

3_ الإشراف الإداري على تجارة القوافل:

16- Ibid. PP. 54-55.

17 - G. Segratain. La Fondation de Géryville. Kepi Blanc. N=. 148. 8/1959. P. 28.

18 - G. Segratain. Souvenires d'un officier de l'armée d'afrique. Op.Cit. P.55.

19 - G. Segratain. La Fondation de Géryville. Op. Cit. P. 30.

20 - G. Segratain. Souvenires d'un officier de l'armée d'afrique. Op.Cit. P.60.

21- C.A.O.M. 2H/25. GGA. Armée d'afrique. PO. Etat major. Demande de la création du cercle de Géryville. Oran. 15/5/1855.

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

كانت التجارة ولعهود طويلة إحدى الدعائم الأساسية للاتصال بين المجتمعات، تساهم في انتقال الأموال والمعارف بين البلدان، وتحدث حالة من التطور والازدهار للمناطق، وهذا باختلاف أنواعها سواء تجارة داخلية عبر الأسواق الأسبوعية أو خارجية والتي من أصنافها نجد تجارة القوافل.

بما أن دراستنا تعنى بهذا الصنف في الإطار الجغرافي الصحراوي، حيث نلمس أن التجارة الصحراوية وحركة القوافل بالصحراء عموما كانت قائمة وموجودة منذ عصور طويلة، فرضت نفسها ومثلت شريان الحياة بالنسبة لقبائل وشعوب كثيرة من سكان شمال إفريقيا وبلاد ما وراء الصحراء، حيث تجاوزت منافعها وأهميتها من إطار القبيلة إلى إطار الدول والسلطات السياسية الرسمية، وهذا تبعا لحجم المنتجات التي تنقلها هذه القوافل التجارية العابرة للصحراء باتجاه السودان أو العائدة منها[1].

تواصل الاهتمام بهذا النشاط مع القوى السياسية التي ظهرت بالمنطقة خلال فترة القرن 18 و19، وخاصة القوة الاستعمارية التي كانت تتنافس في المنطقة على رأسها فرنسا وبريطانيا، ومساعيهما في هذا المجال من أجل تحقيق السيطرة السياسية لهما بإفريقيا. وهو ما حدث مع فرنسا التي ازداد اهتمامها بالجنوب والصحراء الكبرى بعد احتلال الجزائر سنة 1830 ، وأصبح الاهتمام مزدوج سياسي، واقتصادي تجاري من منطلق السعي إلى تأمين أسواق إفريقية لتجارتها عن طريق تفعيل وتنشيط حركة الاستيراد والتصدير إلى إفريقيا عبر الصحراء الجزائرية[2] .

.

وبالطبع لتحقيق هذا الحلم تنوعت الأساليب والوسائل الفرنسية الاستعمارية، فإلى جانب الحملات العسكرية بشكل محدود اعتمدت أسلوب المراوغة والمناورة عن طريق الاتصال بالعائلات ذات النفوذ السياسي، والتي لها تأثير على باقي القبائل والعشائر المنتشرة بالجنوب،

1- بشار قويدر. القوافل التجارية المغاربية. طريق القوافل. المركز الوطني للبحوث في عصر ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ والتاريخ بالتعاون مع اللجنة الوطنية لليونسكو. مطابع عمار قرفي. الجزائر. 2001. ص. 13.

2- سليمان أحمد حسين كريمش. تجار المدن والواحات " الليبية" خلال القرنين 18 و19م. منشورات المركز الوطني للمحفوظات للمحفوظات والدراسات التاريخية. دار الكتب الوطنية. ليبيا. 2010. ص. 320.

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

نهيك عن إقامة المراكز العسكري،ة على طول الهضاب العليا لتموين الفرنسيين في مشاريعهم التوسعية مهما كانت الصفة استكشافية، وعلمية، وحتى عسكرية [1].

وفعلا ازدادت أهمية الجنوب تجاريا بالنسبة لفرنسا من خلال الثروات التي تأتي منه من الذهب، والعاج، والفيلة، الملح، العبيد...إلخ، وهو ما عبر عنه شارل فيرو Charles Fereaud قائلا: " ... إنه باحتلال ورقلة يمكن إقامة إدارة فرنسية قوية أساسها السوق التجارية بهذه المدينة، التي ستكون هامة للأوربيين، والعرب، والميزابيين والسود واليهود. لأن في الصحراء ثروة هامة ذات مداخيل معتبرة..."[2]، ولعل من المنظرين الأوائل الذين أكدوا على الأهمية المنظر دوماس Dumas، والذي كانت له مقترحات متنوعة قدمها لمسؤوله الأول الحاكم العام الجنرال بيجو منها حول الصحراء حيث يقول عنها: " ...تعد بسكرة مركزا هاما للتجار العرب الوافدين من بوسعادة وأولاد نايل وتوقرت وواد سوف ونفطة، مثلما تعد بقية المدن الأخرى وهي: سبدو، وسعيدة، فرندة، تبسة وغيرها أهم المراكز للتجارة الداخلية، ولهذا فالضرورة تقتضي توسيع احتلالنا من أجل تطوير تجارتنا داخل إفريقيا..."[3].

وفعلا مقترحات دوماس الإدارية والاقتصادية لاقت القبول والتنفيذ على يد الجنرال بيجو ومن خلفه على رأسهم الحاكم العام الجنرال راندون Randon الذي أكمل المشروع التوسعي لبيجو نحو الصحراء، واستطاع الوصول إلى قبائل الجنوب الغربي وكسب ولائهم وتبعيتهم، وتم اختيار "جيرفيل" كموقع إستراتيجي وكمركز إداري له مهمات وأدوار اقتصادية من خلال العمل على عقد العلاقات الخارجية وتوسيعها سواء مع بلاد المغرب الأقصى أو جنوبا مع بلاد السودان[4]. ففرنسا عن طريق التوسع جنوبا حاولت جاهدة إلى الإبتعاد عن منافسيها من خلال تحويل تجارة القوافل القادمة من غرب إفريقيا باتجاه تافيلالت إلى الطريق الأوسط القديم عبر واحة توات، وعين صالح إلى اتجاه مدينة الجزائر وقسنطينة في الشمال، وبالتالي السيطرة

1 - Thullier. Les Bureaux arabes. Courrier de l'Algérie.9éme année. 8/2/1869.

2- عميراوي أحميدة. قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث. دار الهدى. الجزائر. 2005. ص ص. 140.

3- نفسه. ص ص. 140-141.

4 - C.A.O.M. 10H/73. GGA. Geryville 1858. « Relations politique extérieurs et commerciales .

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

والتحكم في هذه التجارة بدون منافس خاصة العثمانيين المسيطرين على القوافل عبر فزان وغدامس[1].

إذن من هنا يمكن القول أنه مثلما تأكدت أهمية المراكز الإدارية المنتشرة على طول خط التل والهضاب اقتصاديا، وخاصة في التجارة الداخلية ونشاط الأسواق فإن المراكز التي على طول الخط الثاني والمنتشرة بالأطلس الصحراوي، فقد برزت في التجارة الخارجية حيث اتخذت مركزا لانطلاق واستقبال القوافل المتجهة جنوبا نحو قورارة وتوات وتيديكلت، وهذا بحكم موقعها الاستراتيجي وقربها من المراكز التجارية في أعماق الصحراء[2].

برز دور المكتب العربي لجيرفيل في تجارة القوافل من خلال المهام التي يقوم بها من السعي في الاتصال بالقبائل الصحراوية إلى تأمين الطرق، والإشراف على تنظيم القوافل وتهيئة انطلاقها واستقبالها، ويمكن تحديدها بالتفصيل في النقاط التالية:

1__ استقبالها لقوافل الشمال المتجهة إلى الجنوب، بحيث كل المراكز الإدارية المنتشرة شمالا لم تكن تشرف على تجارة القوافل، بل كان تجارها وقوافلها باتجاه الصحراء كانت تتجه إلى جيرفيل أو المراكز الصحراوية الأخرى لتنتظم هناك، وتنضم إلى قواقل الصحراوية، وتنطلق معا من هناك تحت إشراف وتنظيم المكتب العربي لجيرفيل، وهو ما حدث مثلا مع قبيلة الأحرار من دائرة تيارت، والرزاينة القادمة من دائرة سعيدة، واللتان توجهتا في رحلة تجارية إلى الجنوب قاصدة السودان تحت رعاية مكتب جيرفيل بعناصره بدء من القائد الأعلى للدائرة، ورئيس المكتب العربي، وكل الموظفين بالدائرة من فرنسيين، وجزائريين[3].

2__ القناعة الفرنسية الاستعمارية بضرورة وجود طرق صحراوية خاصة بها لا تنافسها أية قوة استعمارية أخرى كما هو الشأن لمنافسيها التقليدي بريطانيا عبر الطرق المارة عن تونس والمغرب وطرابلس، والوصول إلى ذلك لن يكون إلا عن طريق القبائل الصحراوية الجزائرية[4]،

1- سليمان أحمد حسين كريمش. المرجع السابق. ص. 320.

2 - C.A.O.M. 10H/73. GGA. PO. « Au sujet dela rentrée des caravanes du Gourara 28/1/1859 ». /- 23J/10.Cercle de Géryville. Rapport 1er Trimestrede 1863.

3 - Ibid.

4- C.A.O.M. 23J/10.Cercle de Géryville. Rapport 1er Trimestrede 1858 /_ GGA. Tableau de la situation des établissements Français dans l'Algérie 1860. Imprimerie Impériale. Paris. 1860.PP. 440 -441.

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

وهنا يبرز مرة أخرى دور المكتب العربي أولا: من خلال سعيه في إبرام علاقات بين التجار الفرنسيين والسكان المقيمين بالصحراء الكبرى، وثانيا: إقامة المبادلات التجارية بين السكان وأهل السودان وفرنسا على حد سواء بهدف تصريف المنتجات الفرنسية[1].

3_ التأكيد على أهمية التجارة الصحراوية ألزم المكاتب العربية على تولي مهمة وضع تقارير تفصيلية موجهة إلى السلطات العليا بالجنوب، ومن خلالها وجهت الدعوات الرسمية للاهتمام بالمنطقة، وعقد الاتصالات وربط صداقات مع السكان خاصة التوارق بحكم أنهم أكثر ترددا على قورارة وتيديكلت، إضافة إلى التواتيين الذين تعد أسواقهم مركزا للتزود بالسلع المختلفة من تمور، وحنة، الملابس والأسلحة[2].

وللإشارة كانت اتصالات المكتب العربي في هذا المجال عن طريق الاستعانة بالزعامة الأهلية، وفي مقدمتها زعيم أولاد سيدي الشيخ المدعو حمزة بن بوبكر[3]، الذي كان له الفضل في إرساء قواعد التعامل بين فرنسا والتوارق، وإثبات حسن النية أمام زعماء التوارق، وتوجت الاتصالات بإرسال أربعة من أبناء زعيم التوارق في رحلة إلى العاصمة، أين استقبلوا أحسن استقبال، وتعرفوا على معالم الحضارة الفرنسية، واستبشرت السلطات الفرنسية العليا بباريس بهذه المبادرة خيرا في نشاطها بالصحراء، واستمرت المراسلات والاتصالات بينهم معبرين على المودة والاحترام، واتفقوا على تحقيق الأمن المتبادل لكليهما وقوافلهما سواء الفرنسية المتجهة جنوبا أو ترقية متجهة شمالا[4].

وفي نفس الوقت مثلما تواصل الفرنسيون بالتوارق، حاولوا الاهتمام بأهل توات وبتجارتهم إلى السودان، وعليه اتبعوا نفس الطريق من خلال مكاتبة ومراسلة زعماء توات وكسب ودهم وثقتهم، ومن ضمن ما قاموا به في هذا الجانب تدخل السلطات الفرنسية على مستوى دائرة جيرفيل وإنقاذ قافلة تابعة لأحد قبائل توات تدعى زغدو Zaghdou، والتي

1- C.A.O.M. 22H/26. GGA. Service cviles. L'Algérie « Commerce avec le soudan »18/6/1861 .

2- Ibid.

3- هو الإبن البكر لسي بوبكر الصغير، من مواليد 1810، تدعى أمه الياقوت من قبيلة المخادمة بورقلة، تولى زعامة أولا سيدي الشيخ سنة 1834 حتى 1861.

4 - C.A.O.M. 22H/26. GGA. Service cviles. Paris. Accusé de reception de nouveau de la dépêche relative de l'arriver de touarg a Alger. 25/1/1856.

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

تعرضت لهجوم من طرف عناصر الطرافى فأعيدت لهم ممتلكاتهم وبضاعتهم المسروقة وتم تأديب السارقين[1].

4_ الإشراف على تنظيم القبائل وتهيئتها للتجارة الموسمية، والتي تتزامن مع فصل الشتاء وتحديدا مع شهر ديسمبر، أين يصدر القائد الأعلى للدائرة أوامره إلى كل القبائل المكلفة بتجارة القوافل على مستوى جيرفيل على رأسها الأغواط الكسل، الطرافى، الشعانبة[2]، إضافة إلى توجيه مراسلات إلى الدوائر الفرنسية المجاورة لإرسال قوافلها المتجهة إلى الصحراء منها قبيلة الرزاينة القادمة من دائرة سعيدة، والأحرار القادمة من دائرة تيارت، وكلاهما تتجهان إلى جيرفيل أين يتم ضمهما إلى باقي القبائل، والانطلاق في رحلتهم، وللإشارة هنا كذلك الإعلام وتوجيه الأوامر للقبائل المعنية بالتجارة يكون عن طريق الزعامات الأهلية وخاصة القياد بحكم أنهم موظفين ضمن سلك الإدارة الأهلية الفرنسية. وبهذا تبرز مهمة أخرى لموظفي المكتب العربي في مجال تنشيط التجارة القوافل[3].

5_ العمل على تأمين رحلتها التجارية من خلال توفير قوة عسكرية تحت تصرفهم ترافقهم بهدف حمايتهم، وتأمين الطرق، والتصدي لكل محاولة سلب ونهب للجمال المحملة السلع من قطاع الطرق. إضافة إلى توفير أدلاء المعروفين والاستعانة بهم في الرحلة وتوفيرهم يكون عن طريق الزعامات الأهلية حتى تكون رحلة سهلة، وفي معظمها كانت بإعانة من زعماء أولاد سيدي الشيخ[4].

6_ تنطلق كل القوافل تحت إشراف المكتب بحوالي **3000** جمل محملة بالتجار وعائلتهم وممتلكاتهم، مواشي وكلاب، خراف، أخذين طرقا مختلفة، والتي أمنتها الإدارة الأهلية

1 - C.A.O.M. 22H/26. GGA. Service cviles. L'Algérie « Commerce avec le soudan »18/6/1861 .

2- الشعانبة هي من القبائل العربية استوطنت المنطقة منذ القرن 16، من أهم عشائرها نجد: شعانبة هب الريح بجنوب ورقلة، شعانبة القبالة والمواضي بالمنيعة، والشعانبة برزقة أو متليلي بالجهة الغربية من ورقلة ، أما شعانبة بوروبة استوطنوا ورقلة.
الأغواط الكسل تستوطن منطقة جبل عمور وتحديدا جبل كسل، هي من أهم أتباع قبيلة أولاد سيدي الشيخ.
قبيلة الطرافى هي فرع الشراقة من قبيلة حميان، ينتشرون بالمنطقة المحدودة شمالا بالشط الشرقي، وجنوبا بسلسلة جبال ابتداء من ستيتن إلى غاية الشلالة، شرقا الأحرار وغربا حميان الشفعة، تضم كل من : الرزاينة، الدرارقة، أولاد عبد الكريم، أولاد زياد.

3- C.A.O.M. 10H/73. GGA. Geryville 1858. « Relations politique extérieurs et commerciales

4- Ibid.

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

إلى غاية وصولهم إلى قورارة، وتحديدا إلى أحد قصورها سيدي منصور المشهور بتوافد السودانيين وتجار إفريقيا[1].

رغم إنطلاق القوافل في وقت زمني محدد ومشترك إلا أن وصولها متباين لكونها تسلك طرقا مختلفة فأما الطرافى يتجهون من قصر الأبيض سيدي الشيخ نحو قصر بني عامر القديم المدعو الغنوب متتبعين الواد الغربي تدريجيا حتى يصلوا إلى ملك سليمان بحاسي المنقب، ثم إلى بورورة، ومنها يغوصون في أراضي الغور، حتى يصلوا إلى سيدي منصور في رحلة تدوم 15 يوما يقضون منها 6 أيام بدون أبار يتزودون من مؤونتهم الكبيرة، كما وجدوا ضالتهم في التزود بالمؤن من مراعي الواد الغربي لمواشيهم وحملوا منها الكلأ على ظهور جمالهم .

الأغواط الكسل تزيد رحلتهم عن الطرافى بيومين مما يعني أنهم يقطعون الطريق في 17 يوما أين ينزلون بواد السقار ويعبرون تدريجيا كل من غارة العنز سيحين السيقة، وردة حاسي بوزيد، حتى يصلوا سيد منصور.

الشعانبة ينطلقون من متليلي نحو عين صالح عبر نقطة قليعة El-Golea (المنيعة)، ويعد طريقهم أصعب المسالك الثلاثة يعانون فيه الجوع والعطش ولا يتحمل مصاعب هذا الطريق إلا السكان الأصليين للمنطقة[2].

7_ كان للمكتب العربي دورا في فتح المجال للتجار الفرنسيين لمشاركة تجار القوافل في رحلاتهم كمتطوعين ومثال على ذلك المفوضSaloni، الذي أرسل في رحلة سنة 1862 عونا حاملا كمية من البضائع باع جزء منها والباقي تعهد به إلى زعيم تيميمون سي محمد بن عبد الرحمان من أجل تصريفه تدريجيا إلى القوافل القادمة من تيديكلت وتوات[3]. وعموما هذا التصرف الذي أبداه زعيم تميمون إضافة إلى الإستقبال الجيد الذي تلقاه المفوض الفرنسي أعطى تصورا وحكما حول صدق وثقة شيخ تميمون، ووسعت الأمال في نجاح عمليات التعاون بين الطرفين أكثر، وشجع الأوربين إلى الشراء بنقود فرنسية بقورارة[4].

1- Ibid.
2- Ibid.
3- C.A.O.M. 23J/10.Cercle de Géryville. 1er trimestre de 1863.
4- C.A.O.M. 23J/10.Cercle de Géryville. 1er trimestre de 1863.

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

8_ سهر المكاتب على تأمين الطرق للقوافل، والتدخل عسكريا لتأديب السراق واسترجاع الممتلكات المسروقة، وهو ما حدث مع قبيلة بوغدو التواتية سنة 1859، وقبيلة أولاد زياد الشراقة التي تعرضت قافلتها لهجوم من قبل جماعة من التوارق، الأمر الذي دفع سلطات الإدارة الأهلية إلى التدخل سريعا وتأديبهم[1]، ويبقى أهم تدخل بعد تزايد الشكاوي من سكان قصور أولاد سيدي الشيخ سنة 1860 إلى القائد الأعلى حول عمليات السلب والنهب التي تعترضهم في رحلتهم إلى قورارة على يد قطاع طرق من القبائل المغربية منها ذوي بلال، وذوي منيس والمجتمعين بواد الساورة[2]، لذا تم التدخل على يد المكتب العربي الذي اتخذ سلسلة من الإجراءات لسحق هذه التجاوزات، حيث قام بتشكيل حلف رفقة حمزة بن بوبكر، وتحرير رسالة مشتركة وزعت على القبائل المتجهة إلى الصحراء يظهرونها عند حالات السلب، الأمر الذي يدل على نفوذ الشيخ حمزة، ومكانتهم الدينية عند القبائل الصحراوية[3]، وبذلك تصبح تلك الرسالة بمثابة ضمان معنوي للقوافل إلى غاية وصولها قورارة. بإضافة إلى إعداد قوة عسكرية ووضعها في نقاط إستراتيجية على طول الطرق التي تمر عليها القوافل، تقدر ب 40 جندي قرب البنود، 40 بخروب، ونفسها بواد الناموس، مهمتها الحراسة بمنطقة الناموس، وجبل عمورن[4].

9_ متابعة وتفقد أحوال القوافل وتتبع أخبارها من خلال مراسلات قادة القوافل التي ترفعها إلى المكتب العربي، والذي بدوره يعد تقارير دورية إلى السلطات العليا يطلعهم بمعلومات عن القوافل، كالإشارة عن تاريخ انطلاقها وعودتها، وإعطاء وصف عنها سواء كانت رحلة ناجحة أو فاشلة، مثلا عند وصول رحلة 1862 وصفت بالرحلة الناجحة، حيث تمكن الفرنسيون من شراء التمور بكميات معتبرة وبسعر جيد، إضافة الإشارة إلى المشاكل والعراقيل التي تعترضهم أثناء الرحلة[5].

ولم تقتصر معلومات على أحوال القوافل بل كان يستفيد المكتب العربي من عناصر القافلة على معلومات سياسية كما كان الشأن مع المراسلة المؤرخة ب 1859/1/28 الموجهة إلى

1- C.A.O.M. 22H/26. GGA. P.O. Au sujet d'une caravanne enlevu par les Touarg d'Oeugar. 26/5/1859.
2- Ibid. P.O. Au sujet de la rentrédes caravannes du Gouara. 28/1/18
3- Ibid. P.O. Au sujet de la rentrédes caravannes du Gouara. 28/1/1859.
4 - Ibid. PO. Au sujet des caravannes du Gourara. 28L1L1860
5- C.A.O.M. 23J/10. Cercle de Géryville. 1er trimestre de 1862.

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

القائد الأعلى لوهران جاء فيها أن عناصر الرزاينة أشاروا إلى إنسحاب محمد بن عبد الله تاركا تيميمون متجها جنوبا مصرا على العصيان والثورة بالرغم من أنه لم يلق الدعم[1].

الخاتمة:

لعب المكتب العربي وتحديدا لدائرة جيرفيل دورا ذا أهمية في النشاط التجاري، وتنشيط العلاقات التجارية الفرنسية مع الصحراء الجزائرية وبلاد السودان عموما، فبفضله حققت السلطات الفرنسيةمن جهة ما كانت تطمح إليه بالوصول إلى إفريقيا الوسطى ومنافسة غنيمها التقليدي بريطانيا في الأسواق الإفريقية عبر ريق مستقل تحت سلطتها، ومن جهة أخرى أمنت الطرق وكسبت ود القبائل بفضل الزعامات الأهلية، كما ساهمت في مد النفوذ الفرنسي السياسي وضمان خضوع القبائل لها سلميا عن طريق عقد معاهدات صداقة.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1_الوثائق الأرشيفية

1- C.A.O.M. 23J/10.Cercle de Géryville. 1er trimestre de 1863.
- // // .C.A.O.M. 23J/10. Cercle de Géryville. 1er trimestre de 1862.
- // // .C.A.O.M. 23J/10.Cercle de Géryville. Rapport 1er Trimestrede 1858
2- C.A.O.M. 2H/25. GGA. Armée d'afrique. PO. Etat major. Demande de la création du cercle de Géryville. Oran. 15/5/1855.
3- C.A.O.M. 22H/26. GGA. P.O. Au sujet d'une caravanne enlevu par les Touarg d'Oeugar. 26/5/1859.
-// //. P.O. Au sujet de la rentrédes caravannes du Gouara. 28/1/1859
- // // . PO. Au sujet des caravannes du Gourara. 28L1L1860
- // // . Service cviles. Paris. Accusé de reception de nouveau de la dépêche relative de l'arriver de touarg a Alger. 25/1/1856.

1-.C.A.O.M. 22H/26. GGA. P.O. Au sujet d'une caravanne enlevu par les Touarg d'Oeugar. 26/5/1859.

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

- // // . GGA. Service cviles. L'Algérie « Commerce avec le soudan »18/6/1861 .
4- C.A.O.M. 10H/73. GGA. Geryville 1858. « Relations politique extérieurs et commerciales
-// // . GGA. PO. « Au sujet dela rentrée des caravanes du Gourara 28/1/1859 ». de Géryville
5- GGA. Tableau de la situation des établissements Français dans l'Algérie 1860. Imprimerie Impériale . Paris. 1860.440 -441.

2_ الكتب

1- Achill Fillias. Géographie physique et politique. 2éme édition. Hachette et C^ie libre. Paris. 1875P. 57.
[2] -Pelissier. Annales Algeriennes. V1. Jdumaine. Paris. Bastide.Alger. 1854
3- Peyronnet. Livre d'or des officiers des affaires indgénes (1830-1930). T1. Imprimerie Algérienne. Alger. 1930.

3_ المقالات:

1- GB. L'oasis de Feguig. L'illustration. 26 éme année 18/8/1868. N= 1327.P. 68.
2-G. Segratain. Souvenires d'un officier de l'armée d'afrique. BSGA. 1^er semestre. N=161-162. PP. 54-55.
3-G. Segratain. La Fondation de Géryville. Kepi Blanc. N=. 148. 8/1959. P. 28. »
4-Thullier. Les Bureaux arabes. Courrier de l'Algérie.9éme année. 8/2/1869.

المراجع:

1- بوعزيز يحي. موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب. ج1. دار الهدى. الجزائر. 2004.
2- بوعزيز يحي. ثورات الجزائر في القرنين 19 و29. منشورات المتحف الوطني للمجاهد. الجزائر. 1996.
3- أبو القاسم سعد الله. تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية. ج1. دار الغرب الإسلامي. لبنان. 1992.
4- بشار قويدر. القوافل التجارية المغاربية. طريق القوافل. المركز الوطني للبحوث في عصر ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ التعاون مع اللجنة الوطنية لليونسكو. مطابع عمار قرفي. الجزائر. 2001.

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

5- عميراوي أحميدة. قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث. دار الهدى. الجزائر. 2005.
6- سليمان أحمد حسين كريمش. تجار المدن والواحات " الليبية" خلال القرنين 18 و19م. منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية. دار الكتب الوطنية. ليبيا. 2010.
7- إبراهيم مياسي. الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837- 1934). دار هومة. الجزائر. 2005.
1- Roney Alain. Les Said Attba de Ngoussa. Histoire et état actuel de leur nomadisme. L'Harmattan.Paris. 1983.